الفصل الأول

وفيه مباحث:

المبحث الأول: الحالة السياسية في اليمن وأثرها في حياة الموزعي.

المبحث الثاني: الحالة العلمية في عهد الدولة الرسولية وأثرها في حياة الموزعي.

المبحث الثالث: نماذج لآثار النهضة العلمية.

المبحث الرابع: أثر الحالة العلمية في شخصية الموزعي.

المبحث الخامس: الحالة الاجتماعية وأثرها في شخصية الموزعي.

المبحث الأول

الحالة السياسية في اليمن
وأثرها في حياة الموزعي

قامت الدولة الرسولية على أثر ضعف الدولة الأيوبية[١] التي كان مركزها القاهرة، وكان عمر بن علي بن رسول الغساني التركماني والياً على اليمن من قبل الأيوبيين، فأعلن استقلال اليمن، ودعا لنفسه وتسمّى بالمنصور، ودانت له البلاد واتسعت رقعة نفوذه، وبهذا الملك ابتدأت أشهر دولة عرفها تاريخ اليمن في العصور القديمة والحديثة، وذلك بسبب الفترة الطويلة التي حكمت فيها، وتشجيعها للعلم والعلماء، والاستقرار النسبي إذا قيس بغيرها ممن حكموا اليمن.

أسس ملوك بني رسول دولتهم على أساس نظام ولاية العهد، مما جعل التناحر يسود الدولة في غالب الأحيان، فكل واحد من أفراد العائلة الرسولية إذا آنس في نفسه القوة حاول الإطاحة بسلفه حتى وإن كان أخاه أو ابن أخيه.

ومما شجع على هذا وجود عدد كبير من المماليك المستقدمين من خارج اليمن، وكان ملوك الدولة الرسولية قد استقدموهم بقصد الاعتماد عليهم في دعم حكمهم وبقائه، واستعمالهم في قمع الخارجين عليهم.

ولم يتعظ حكام الدولة الرسولية من الدرس الذي حصل لغيرهم ممن كانوا قبلهم أو عاصروهم[٢].

---

(١) دخلت الدولة الأيوبية اليمن سنة ٥٩٩هـ وحكمت إلى سنة ٦٢٥هـ.

انظر: «بغية المستفيد في أخبار زبيد» ٦٩ - ٧٩، و«الدرر الكامنة» ٢/ ١٠٠ ط الهند، و«العقود اللؤلؤية» ١/ ٨١، ٨٢.

(٢) انظر: «حياة الأدب اليمني في عصر بني رسول» ٢٣.

وكان السلطان الملك عمر بن علي بن رسول ـ أول ملك للدولة الرسولية ـ قد أكثر من استقدام المماليك حتى بلغت مماليك البحرية ألف فارس تقريباً، ولكن نهايته كانت على أيديهم، إذ وثب عليه جماعة منهم فقتلوه سنة ٦٤٧هـ[١]، فأخذ ملوك الدولة الرسولية بعد ذلك حذرهم من جراء هذه الحادثة، فنجد أنه في سنة ٧٢٣هـ في عهد السلطان الملك المجاهد علي بن داود الرسولي قويت شوكة المماليك وحصل منهم أفعال وصفها المؤرخون بأنها: أفعال قبيحة لا يليق أن تسمع منهم، فأباح السلطان دماءهم وأموالهم[٢]. إلا أنه في سنة ٨٣١هـ ثاروا على السلطان الملك الأشرف إسماعيل بن أحمد، وأنزلوه من سرير الملك وأودعوه السجن، وأخرجوا عمه إسماعيل بن العباس وكان مسجوناً، فتولى الحكم في سنة ٨٣١هـ إلى سنة ٨٤٢هـ، وفي عهده قويت شوكة المماليك فقام بحملة تطهيرية ضدهم، ونكل بجماعة من أعيانهم[٣].

علاقة الدولة الرسولية بغيرها من الدول:

للدولة الرسولية علاقات سياسية مع كثير من الدول العربية، بل ومع كثير من الدول الشرقية والغربية، كالصين والهند والحبشة، وغيرها، وهذه العلاقات جاءت عن طريق الوفود الدبلوماسية، وتبادل الهدايا، وعقد المعاهدات الودية فيما بينهم.

وهناك عامل أساسي في إقامة العلاقات السياسية، وهو وجود ميناء عدن ذي الموقع الممتاز، فقد كان يستقبل السفن التجارية المحملة بأنواع البضائع من الصين والهند وسيلان، ويصدرها إلى الدول المجاورة، بالإضافة إلى أن ازدياد نفوذ الدولة الرسولية واستقرارها النسبي، جعل الدول المجاورة وغير المجاورة ترسل الوفود طالبة التقرب لهذه الدولة، حتى قال الشاعر مخاطباً الملك المؤيد يوسف بن عمر بن

---

(١) انظر: «تاريخ الدولة الرسولية» ٢٦ ، و«العقود اللؤلؤية» ١/ ٨١ - ٨٢ .

(٢) انظر: «العقود اللؤلؤية» ٢/ ١٤٤ ، « تاريخ الدولة الرسولية» ٨٣ .

(٣) انظر: « تاريخ الدولة الرسولية» ٢٠٩ ، «حياة الأدب اليمني في عصر بني رسول» ٢١ .

رسول في سنة ٧٠٣ هـ:

لم تأتك الرسل من مصرٍ وساكنها إلا مؤديةً حقًّا لكم يجبُ[١]

وسنستعرض هنا نماذج للوفود الواصلة والمغادرة من و إلى اليمن:

أولاً: علاقة الدولة الرسولية بدول مصر:

أ ـ في سنة ٧٦٨هـ سافر من اليمن وفد من قبل السلطان الأفضل العباس بن علي إلى الديار المصرية حاملاً هدايا نفيسة تليق بحال المهدي والمهدى إليه[٢].

ب ـ في سنة ٧٨٧هـ في شهر ربيع الآخر وصل الوفد المصري حاملاً هدايا فيها أنواع من التحف الفاخرة وشجر المرجان[٣].

ج ـ وفي سنة ٧٨٨هـ في شهر ربيع الأول وصل وفد الحكومة المصرية حاملاً هدايا وفيها من التحف والعجائب ما لا يكون قد سبق مثله[٤].

د ـ وفي سنة ٨٠٧هـ في شهر صفر وصلت هدية من الديار المصرية[٥].

هـ ـ وفي سنة ٨٠٧هـ في شهر جمادى الآخرة وصل وفد من حكومة مصر بكتاب إلى السلطان الرسولي[٦].

و ـ وفي سنة ٨١٨هـ في شهر ربيع الأول وصلت من ملك مصر هدية مباركة، وفيها مماليك وخيول وبغال وتحف كثيرة[٧].

ثانياً: علاقات الدولة الرسولية بالصين:

أ ـ في سنة ٨٢٣ قدم إلى اليمن رسول من عند ملك الصين بثلاثة مراكب

---

(١) انظر: «العقود اللؤلؤية» ١/٢٨٩ تحقيق الأكوع، «حياة الأدب اليمني في عصر بني رسول» ٢٥ - ٢٦.

(٢) انظر: «العقود اللؤلؤية» ٢/١١٧، «تاريخ الدولة الرسولية» ٦٧.

(٣) انظر: «تاريخ الدولة الرسولية» ٩١.

(٤) المرجع السابق ص٩٣.

(٥) انظر: «العقود اللؤلؤية» ٢/٢٥٢.

(٦) انظر: «تاريخ الدولة الرسولية» ١٤٠.

(٧) المصدر السابق ١٧٥.

مشحونة، فيها من الهدايا العظيمة ما قيمته عشرون لكًا[١] من الذهب، فلما وصل الرسول إلى السلطان لم يفعل كغيره من تقبيل الأرض، بل قال له: سيدي صاحب الصين يسلم عليك ويوصيك بالعدل في رعيتك. فقال له: مرحباً بك ونعم المجيء جئت، وكتب له كتاباً قال فيه: الأمر أمرك والبلد بلدك، وأهدى إليه من الثياب والوحوش الشيء الكثير[٢].

ب ـ في سنة ٨٢٦ هـ في شهر صفر، وصل وفد من الصين يحمل هدية سنية إلى السلطان من ملك الصين خاقان، فيها من التحف والدرر الملونة، والأوان الصينية الفاخرة والعود العال وغير ذلك[٣].

ثالثاً: علاقة الدولة الرسولية بالهند:

أ ـ في سنة ٦٤٧هـ، وصل سفير حكومة الهند برسالة إلى السلطان الملك عمر بن علي[٤].

ب ـ في سنة ٧٦٩هـ وفي عهد السلطان الأفضل عباس بن علي وصل رسول ملك الهند بهدايا عظيمة وتحف من الأشجار الفاخرة والملابس الحسنة[٥].

ج ـ وفي سنة ٧٨٠هـ سافر من اليمن في عهد الملك الأشرف إسماعيل بن العباس سفراء الدولة الرسولية إلى الهند[٦].

د ـ وفي سنة ٧٨٣هـ وصلت هدية من ملك بنجالة وفيها من التحف والدرر وغيرها[٧].

---

(١) اللّك في العدد عند أهل إيران والهند واليمن مئة ألف. انظر: «المعجم الوسيط» ٢/ ٨٧٠.

(٢) انظر: «غاية الأماني» ٢/ ٥٦٥.

(٣) انظر: «تاريخ الدولة الرسولية» ٢٠٢.

(٤) انظر: «العقود اللؤلؤية» ١/ ٨١.

(٥) انظر: «تاريخ الدولة الرسولية» ٦٨.

(٦) المرجع السابق ٨١.

(٧) المرجع السابق ٨٥.

رابعاً: علاقة الدولة الرسولية بالحبشة وما جاورها:

أ ـ في سنة ٧٧٠هـ وصل السفراء من الحبشة ومعهم الهدايا الفخمة[١].

ب ـ وفي سنة ٧٨٠هـ وصل من صاحب دنكل هدية، وهي عبارة عن رقيق وحمر الوحش[٢].

ج ـ وفي سنة ٧٨٠هـ وصلت هدية من بر العجم وهي عبارة عن زرافة[٣].

أثر الحياة السياسية في نشأة الموزعي

حياة الأمم مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بحكامها، فأحداث أي عصر من العصور تؤثر على مجرى الحياة العامة للناس الذين يعيشون فيه، فإن كانت الأحداث سيئة فإنها تترك آثاراً سيئة قد تصل إلى جمود الحركة العلمية والحضارية، وبالعكس، فإن كان مجرى الأحداث حسنة فإنها تترك آثاراً حسنة، فالأحداث السياسية تؤثر تأثيراً مباشراً على حياة الناس المعيشية والاعتقادية، وأكبر شاهد على ذلك مرور فترات في عهد الدولة الرسولية كان العلماء هم المؤثرون على الملوك والسلاطين، ففي عهد السلطان الملك الأشرف إسماعيل بن العباس، ظهر ابن الرَّدَّاد الصوفي وكان ذا عقيدة فاسدة، إذ كان يعتقد ما يقول به محيي الدين بن عربي، فالتصق هذا الشيخ بالسلطان الأشرف إسماعيل، واستطاع أن يؤثر عليه، فأصبح يجاهر بمعتقده، ويحارب كل من يقف ضده، مستغلاً قربه من السلطان ومركزه الإداري إذ كان متولياً قضاء الأقضية. فقام علماء عصره ضد فكرته ومعتقده، وكان في مقدمتهم مؤلفنا الموزعي، فحصلت مناظرة في مجمع حافل بين ابن الرَّدَّاد والموزعي، حضره العلماء والفقهاء والصوفية والأمراء، فأقام الموزعي حجته ببطلان كلام ابن عربي في كتبه، فخرج منتصراً، رغم تهديد أعدائه له، وزاد على ذلك أن قام من فوره وألف

---

(١) انظر: «تاريخ الدولة الرسولية» ٧٠.

(٢) انظر: المرجع السابق ٨١.

(٣) انظر: المرجع السابق ١٠٦.

كتاباً أسماه: «كشف الظلمة عن هذه الأمة» واعتُبِر كتابه هذا مرجعاً لمن جاء بعده مما كانوا على فكرته.

وهكذا نجد أن الموزعي وقف صامداً في وجه الباطل، ولم تؤثر فيه التغيرات السياسية أو الاجتماعية، ولم يخضع أو يستسلم للنفوذ السياسي أو الإداري[١].

(١) انظر في هذا: «تاريخ البريهي» ٢٦٩ ، «الصوفية والفقهاء في اليمن» ١٣٥ - ١٣٦ .

المبحث الثاني

الحالة العلمية في عهد الدولة الرسولية وأثرها في حياة المؤلف

قبل ظهور الدولة الرسولية في اليمن، كان الجهل يعم معظم المدن اليمنية، وقد ذكر المؤرخ الجندي أنه دخل إحدى المدن اليمنية سنة ٦٧٢هـ فلم يجد فيها من العلماء سوى فقيه واحد، وأما القرى الصغرى فحدث عن جهل أهلها ولا حرج، من بلوغهم الأمر أنهم إذا حدثت لهم حادثة فقهية، اتفقوا عليها بالمصالحة والتراضي[١].

وكانت معظم المدن اليمنية خالية من العلماء والفقهاء والمفتين، ولكن بعد ظهور الدولة الرسولية انتشر العلم وأصبحت له مدارس كثيرة يؤمها الطلبة من كل مكان، حتى أصبحت مدينة زَبِيد تعد ثالث المدن العلمية في الجزيرة العربية، بعد مكة والمدينة، مما جعل العلماء يفدون إليها بعد فراغهم من الأخذ عن علماء مكة والمدينة[٢].

وكان لتشجيع ملوك الدولة الرسولية للعلم والعلماء الأثر الكبير في قيام المدارس العلمية، وظهور العلماء، مما أدى إلى ظهور حركة علمية كبيرة في اليمن.

وسنعرض نماذج من آثار هذه النهضة فيما سيأتي.

ولم يقتصر تشجيع ملوك الدولة الرسولية للعلم والعلماء فقط، بل فرَّغوا أنفسهم

---

(١) انظر: «الأدب اليمني في عهد بني رسول» ٥٩ .

(٢) أفرد البُريهي في «تاريخه» فصلاً ذكر فيه العلماء الذين وفدوا إلى اليمن من أقطار شتى. انظر: «طبقات صلحاء اليمن» المعروف بـ «تاريخ البريهي» ص٣٣٩ وما بعدها.

للدراسة على العلماء والفقهاء، فهذا الملك المظفر يوسف بن عمر[١] جلس في حلقات العلماء، فدرس الفقه والحديث واللغة، وظهرت له مصنفات متعددة[٢]، وكان الملك المظفر متضلعاً في العلوم، ويظهر التفاخر في ذلك، حيث جاء ذلك في رسالة بعثها إلى الملك الظاهر بيبرس[٣] صاحب مصر، طلب منه إرسال طبيب لمدينة ظفار[٤]؛ لأنها موبوءة. فيقول في رسالته: ولا يظن المقام العالي أنا نريد الطبيب لأنفسنا، فإنا نعرف بحمد الله من الطب ما لا يعرفه غيرنا، وقد اشتغلنا فيه في أيام الشبيبة اشتغالاً كثيراً، وولدنا عمر الأشرف من العلماء بالطب، وله كتاب الجامع ليس لأحد مثله[٥].

---

(١) هو يوسف بن عمر بن علي الرسولي، ثاني ملوك بني رسول، تولى الملك بعد مقتل أبيه، وظهرت في عهده ثورات وفتن، فاستطاع القضاء عليها، امتد حكمه إلى حضرموت وظفار، واستمر في الحكم نحو خمسين سنة، وكان ملكاً جواداً كريماً كثير البذل، محباً للعلم والعلماء، له مؤلفات منها: أربعون حديثاً منتزعة من كتاب الترغيب والترهيب، تيسير المطالب في تيسير الكواكب، وغيرهما، وقد حصر الأستاذ عبد الله الحبشي مؤلفاته ـ مخطوطة ـ وبيّن مكان وجودها في كتابه «مصادر الفكر العربي» ٥٥٢ ، توفي سنة ٦٩٤هـ .

انظر ترجمته في: «العقود اللؤلؤية» ١/ ٢٣٢ وما بعدها، «تاريخ الدولة الرسولية» ٢٧ وما بعدها، «النجوم الزاهرة» ٨/ ٧٣ وما بعدها، «قرة العيون بأخبار اليمن الميمون» ٢/ ٢١ ، «شذرات الذهب» ٥/ ٤٢٧ ، «غاية الأماني» ١/ ٤٣٤ ، «أشعة الأنوار» ٢/ ١٠٥ - ١٠٦ ، «تاريخ المخلاف السليماني» ١/ ٢١٦ ، «مصادر الفكر العربي الإسلامي» ٥٥٢ ، «الأدب اليمني في عهد بني رسول» ٤٩ .

(٢) انظر: «العقود اللؤلؤية» ١/ ٢٣٣ .

(٣) هو ركن الدين أبو الفتح بيبرس البندقداري ، الملك الظاهر من ملوك مصر ، تركي الأصل وأحد المماليك البحرية، كان رقيقاً فاشتراه علاء الدين، وأعتقه الملك الصلاح نجم الدين أيوب وجعله في خاصة خدمه، وترفع في منصبه حتى أصبح رئيس الحرس ، وتولى سلطة مصر بعد مقتل الملك المظفر قطز سنة ٦٥٨هـ ، وكان شجاعاً جباراً، يباشر الحروب بنفسه، انتصر في وقائع كثيرة بعضها مع التتار والإفرنج الصليبيين، وتوفي في دمشق سنة ٦٧٦هـ .

انظر: «النجوم الزاهرة» ٧/ ٩٤ ، «فوات الوفيات» ١/ ٢٣٥ ، «البداية والنهاية» ١٣/ ٢٧٤ ، «الخطط للمقريزي» ٢/ ٢٣٨ ، «حسن المحاضرة» ٢/ ٩٥ ، «الأعلام» ٢/ ٧٩ .

(٤) تقع ظفار في الجنوب الشرقي للجزيرة العربية، وكانت تابعة لحكام اليمن، وتعتبر ظفار في الوقت الحاضر تابعة لسلطنة عمان. انظر: كتاب «هذه هي اليمن» ٥٢٧ .

(٥) انظر: «العقود اللؤلؤية» ١/ ٢٣٣ - ٢٣٤ ، «مصادر الفكر العربي» ٥٥٣.

وقد أنشأ المدارس والمساجد، ودور الضيافة، وجعل مرتبات للمدرسين وللطلبة، ليحصل التفرغ للعلم، كما أوقف للمدارس والمساجد دوراً وأراضي زراعية تكفي حاجة الجميع[١].

وفي عهد الملك الأشرف عمر بن يوسف[٢] ـ الملك المظفر ـ استمرت النهضة العلمية كما كانت في عهد أبيه، وزادت اتساعاً، فقد أنشأت المدارس والمساجد وكثرت حلقات العلم، وشجع ذلك حبُّ هذا الملك للعلم وانشغاله فيه في أيام صباه، وقد وصفه الخزرجي بقوله: وكان محبوباً عند العلماء والأدباء وغيرهم، وكان ملكاً سعيداً عاقلاً، فاضلاً، أديباً، حسن السيرة، وادعاً[٣]. وله مؤلفات[٤]، منها ما ذكرنا في رسالة والده إلى الظاهر بيبرس.

وفي عهد الملك المؤيد داود بن يوسف بن عمر بني رسول[٥] استمرت النهضة العلمية كما كانت في عهد أخيه من قبله الملك الأشرف عمر بن يوسف واستوزر أحد العلماء وهو القاضي موفق الدين علي بن محمد المعروف بالصاحب[٦]، ورغم انشغال هذا الملك بقمع الفتن في زمانه، إلا أن ذلك لم يؤثر على توسع النهضة

---

(١) انظر: «العقود اللؤلؤية» ١/ ٢٣٣ .

(٢) هو عمر بن يوسف الرسولي، تولى بعد وفاة أبيه سنة ٦٩٤هـ ، وتوفي سنة ٦٩٦هـ .
انظر ترجمته في: «العقود اللؤلؤية» ١/ ٢٣٩ ، «قرة العيون» ٢/ ٩٠ ، «تاريخ ثغر عدن» ٢/ ١٨١ ، «غاية الأماني» ١/ ٤٧٦ ، «أشعة الأنوار» ٢/ ١٠٧ ، «تاريخ المخلاف السليماني» ١/ ٢٢٠ .

(٣) انظر: «العقود اللؤلؤية» ١/ ٢٣٩ .

(٤) انظر في أسماء مؤلفاته: «قرة العيون» ٢/ ٥١ ، «العقود اللؤلؤية» ١/ ٢٨٨ ط مصر، وقد ذكر الأستاذ عبد الله الحبشي أماكن وجودها، انظر كتابه «مصادر الفكر العربي» ٥٥٦ .

(٥) تولى هذا الملك بعد وفاة أخيه الملك الأشرف عمر بن يوسف، وذلك في سنة ٦٩٦هـ ، وتوفي سنة ٧٢١هـ .
انظر ترجمته: «العقود اللؤلؤية» ١/ ٢٩٩ ط مصر ، «الدرر الكامنة» ٢/ ١٩٠ ، «النجوم الزاهرة» ٩/ ٢٥٣ ، «قرة العيون» ٢/ ٥٦ ، «تاريخ ثغر عدن» ٢/ ٧٢ ، «شذرات الذهب» ٦/ ٥٥ ، «غاية الأماني» ١/ ٤٧٨ ، «البدر الطالع» ١/ ٢٤٧ ، «أشعة الأنوار» ٢/ ١٠٩ ، «تاريخ المخلاف السليماني» ١/ ٢٢٢ ، «مصادر الفكر العربي» ٥٦١ .

(٦) هو علي بن محمد اليحيوي، موفق الدين ، المعروف بالصاحب، استوزره الملك المؤيد، وفوض إليه قضاء الأقضية، وأعان الملك على إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واستمر في الوزارة إلى أن توفي سنة ٧١٢هـ . انظر «العقود اللؤلؤية» ١/ ٢٥٤ ، «الأعلام» ٤/ ٣٣٤ .

العلمية، فقد أنشئت عدة مدارس، من أشهرها المدرسة المؤيدية بتَعِز، وعدد من المساجد، وكثرت فيها حلقات العلم، وكانت له مشاركة في العلوم، واشتهر عنه أنه حفظ «التنبيه» في الفقه[١]، كما حفظ كثيراً من علوم اللغة، وأخذ الحديث عن أكابر مشايخ عصره في قطره، وله مشاركة في الأدب فجمع من أشعار الجاهلية وغيرها، كما جمع من الكتب في فنون مختلفة ما قدر بمئة ألف كتاب في مكتبته الخاصة[٢].

وهكذا نجد أن الحركة العلمية استمرت في الاتساع في عهد الملك المجاهد علي بن داود[٣]، بالرغم من أن عهده يموج بالفتن وعدم الاستقرار، إلا أن هذا لم يمنع النهضة العلمية من الاستمرار في التطور والازدياد، فقد ازداد عدد المدارس، كما جعل في كل مدرسة مدرسين متخصصين، فهذا يدرس الفقه وذاك الحديث وهذا التفسير وهكذا، كما أمر السلطان علي بن داود ببناء مدرسة في مكة المكرمة بجانب المسجد الحرام، وجعل فيها مصلحين، وأجرى لهم الرواتب، كما ابتنى مدرسة في تَعِز وأخرى في زَبِيد، وجعل في كل مدرسة إماماً ومؤذناً إلى جانب المدرسين، وأجرى لهم الرواتب، وكان العلماء والفقهاء ملازمين للسلطان، منهم جمال الدين محمد بن عبد الله الريمي شيخ الموزعي، وكان هذا السلطان محباً للعلم والعلماء، مشفقاً عليهم، مشجعاً للتدريس والتأليف والبحث، وعلى أثر هذا ظهرت الشروح والحواشي وألفت الكتب في فنون مختلفة، وقد اشتملت مكتبة السلطان المجاهد على نحو مئتي ألف مجلد[٤].

---

(١) انظر: «قرة العيون» ٢/ ٦٦ ، ٦٧ ، «غاية الأماني» ١/ ٤٩٤ ، «العقود اللؤلؤية» ١/ ٢٤١ .

(٢) انظر: «الدرر الكامنة» ٢/ ١٩٠ ، «شذرات الذهب» ٦/ ٥٦ ، «غاية الأماني» ١/ ٤٩٤ ، «قرة العيون» ٢/ ٦٦ - ٦٧ ، «العقود اللؤلؤية» ١/ ٢٤١ - ٢٤٢ ، «البدر الطالع» ١/ ٢٤٨ .

(٣) هو علي بن داود بن يوسف بن عمر بن رسول، تولى الملك بعد وفاة أبيه سنة ٧٢١هـ ، وتوفي سنة ٧٦٤ هـ . انظر ترجمته في: «العقود اللؤلؤية» ٢/ ١٢٦ط - مصر ، «الدرر الكامنة» ٣/ ١١٩ ، «قرة العيون» ٢/ ٩٣ ، «تاريخ ثغر عدن» ٢/ ١٣٩ ، «غاية الأماني» ١/ ٤٩٤ ، «البدر الطالع» ١/ ٤٤٤ ، «أشعة الأنوار» ٢/ ١١٢ ، «تاريخ المخلاف السليماني» ١/ ٢٢ ، «مصادر الفكر العربي» ٥٧١ .

(٤) انظر: «قرة العيون» ٢/ ٩٤ ، «غاية الأماني» ٢/ ٥١٨ ، «العقود اللؤلؤية» ٢/ ١٢٦ ، «المخلاف السليماني» ١/ ٢٢٢ . وغير ذلك من مصادر ترجمته التي مرت.

وهكذا نجد النهضة العلمية في ازدياد مستمر في عهد الملك الأفضل عباس بن علي[١]، فكان ملكاً عاقلاً رشيداً، لم يكن في أولاد المجاهد أشد منه في حبه العلم والعلماء، بل كان عالماً فقيهاً نحوياً عارفاً بالأنساب والتواريخ، ظهرت له مؤلفات عدة منها: «نزهة العيون في تاريخ الطوائف والقرون»، و«العطايا السنية في المناقب اليمنية»، و«مختصر تاريخ بني خلكان»، وغيرهم[٢].

كما أنشئت في عهده مدرسة في مكة المكرمة، ووقف عليها ما يقوم بكفايتها، وأنشئت المدرسة الأفضلية بتعز، وكان لا نظير لها في عهدها، كما استمرت ملازمة السلطان للعلماء والفقهاء كما كان في عهد من سبقه من الملوك والسلاطين[٣].

وفي عهد الملك الأشرف إسماعيل[٤] ازدهرت النهضة العلمية، ومنح السلطان

---

(١) هو عباس بن علي بن داود بن يوسف الرسولي، تولى الملك عقب وفاة والده الملك المجاهد سنة ٧٦٤هـ، وتوفي سنة ٧٧٨هـ.

انظر ترجمته في: «العقود اللؤلؤية» ٢/ ١١١ وما بعدها، «إنباء الغمر» ١/ ٢١٠ط الهند، «قرة العيون» ٢/ ١٠٤، «شذرات الذهب» ٦/ ٢٥٧، «غاية الأماني» ٢/ ٥١٨، «معجم المؤلفين» ٥/ ٩٤، «تاريخ المخلاف السليماني» ١/ ٢٢٤، «مصادر الفكر العربي» ٥٧٤.

(٢) ذكر الأستاذ محمد علي الأكوع محقق ومعلق كتاب «قرة العيون»، أن لديه عدداً من مؤلفات الملك الأفضل هذا، وعليها خطه الجميل، ثم ذكر أن بعضها في طريقه إلى الطبع. انظر: «قرة العيون بأخبار اليمن الميمون» ٢/ ١٠٤ هامش ١.

كما ذكر الأستاذ عبد الله الحبشي أماكن وجودها في مكتبات العالم، انظر: «مصادر الفكر العربي» ٥٧٥.

(٣) انظر: «إنباء الغمر» ١/ ٢١٠ ط ـ الهند، «غاية الأماني» ٢/ ٥٢٦، «قرة العيون» ٢/ ١٠٤، «معجم المؤلفين» ٥/ ٦١، «تاريخ المخلاف السليماني» ١/ ٢٢٤.

(٤) هو إسماعيل بن العباس بن علي بن داود بن يوسف بن رسول، تولى الملك بعد وفاة أبيه سنة ٧٧٨هـ، وسار سيرة حسنة مرضية، ورغم إدارته لدفة الحكم في بلاده، وقمع بعض الفتن الخارجة عليه، رغم هذا وغيره فقد كان يحضر حلقات العلم، ويأخذ عن علماء عصره، فقد أخذ الفقه على الفقيه علي بن عبد الله الشاوري، والنحو على الفقيه عبد اللطيف الشرجي إمام النحاة في عصره، وسمع الحديث من مجد الدين الفيروزآبادي صاحب القاموس المحيط، كما شارك في علوم كثيرة، فألف عدة مصنفات في النحو، والفلك، وأخبار الملوك. ويقال: إنه كان يضع وضعاً ويأمر من يتم على ذلك الوضع، ثم يعرض عليه فما ارتضاه أثبته وما لا يرتضيه حذفه، ومن أعماله بناء المساجد والمدارس في جميع الديار اليمنية، كما أمر بتجديد وترميم المساجد والمدارس المشرفة على التلف، وكان يولي العلماء والفقهاء الوظائف في الدولة، مثل منصب القضاء الأكبر، فقد ولاه جمال الدين الريمي، توفي سنة ٨٠٤ هـ.

انظر في ترجمته: «العقود اللؤلؤية» ١/ ١٤١، «الضوء اللامع» ٢/ ٢٩٩، «قرة العيون» ٢/ ١٠٥، «تاريخ ثغر عدن» ٢/ ٢٠، «الأعلام» ١/ ٣١٦ - ٣١٧، «المخلاف السليماني» ١/ ٢٢٥، «غاية الأماني» ٢/ ٥٥٠، «تاريخ الدولة الرسولية» ٧٩.

الجوائز والهدايا لمن يؤلف أو يشرح كتاباً، فهذا جمال الدين محمد بن عبد الله الريمي شيخ الموزعي، ومتولي القضاء الأكبر في ذلك الوقت، شرح كتاب «التنبيه» لأبي إسحاق الشيرازي في الفقه، وسماه «التفقيه شرح التنبيه» فبلغ ذلك أربعة وعشرين مجلداً، وعند تمامه حمل الكتاب من بيت المؤلف إلى دار السلطان الملك الأشرف إسماعيل، وقد وضع كل جزء منه في صندوق من فضة ولف بالحرير والديباج، وسار معه العلماء والفقهاء والطلاب، فلمّا وصل إلى عند السلطان حباه السلطان ثمانية وأربعين ألف درهم[١].

ولما أكمل مجد الدين الفيروزآبادي[٢] تأليف كتابه «الإسعاد بالإصعاد إلى درجة الاجتهاد» وكان ثلاثة أجزاء، حمل إلى باب السلطان مزفوفاً بالطبول، وحضر ذلك سائر الفقهاء والقضاة والطلبة، حباه السلطان بثلاثة آلاف دينار[٣]، وهكذا نجد الدولة تشجع العلم وأهله، وهذا يساعد على ازدياد الطلب على التعليم، كما يشجع على كثرة التأليف في فنون مختلفة بعد أن كاد الجهل يقضي على العلم في فترة سابقة في تلك الديار، ولكن الله يقيض من يشاء من عباده لنشر دينه ورفع معالمه، وهذا مصداق لحديث الرسول ﷺ: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبْقِ عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالاً، فسئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا»[٤].

---

(١) انظر: «العقود اللؤلؤية» ٢/ ١٦٠ ، «قرة العيون» ٢/ ١١٠ ، « تاريخ الدولة الرسولية» ٩٤ ، «شذرات الذهب» ٦/ ٣٢٥ .

(٢) هو محمد بن يعقوب بن إبراهيم الشيرازي الفيروزآبادي، من أئمة اللغة والأدب، ولد بشيراز وانتقل إلى العراق والشام ومصر ودخل بلاد الهند، وأخيراً استقر في زبيد باليمن، فأكرمه السلطان الأشرف إسماعيل وقربه وولاه قضاء الأقضية، كان عالماً في التفسير والحديث إلى جانب علم اللغة، له مؤلفات من أشهرها «القاموس المحيط»، توفي سنة ٨١٧ هـ بزبيد .

انظر: «الضوء اللامع» ١٠/ ٧٩ ، «بغية الوعاة» ١/ ١١٧ ، «الأعلام» ٧/ ١٤٧ ، مقدمة كتابه «بصائر ذوي التمييز».

(٣) انظر: «قرة العيون» ٢/ ١١٧ ، «الضوء اللامع» ٢/ ٢٦٩ ، «الدولة الرسولية» ١٧٣ ، «العقود اللؤلؤية» ٢/ ٢٤٤ ، ٢٢٩ ، «تاريخ البريهي» ٢٩٥ - ٢٩٧ .

(٤) هذا حديث متفق على صحته: البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص. وانظر: «شرح السنة» ١/ ٣١٥ - ٣١٦ .

هذه النماذج وهذا الانفتاح العلمي تمر على مرأى ومسمع من الإمام الموزعي؛ حيث يرى شيخه جمال الدين الريمي يكرم ويشجع من قبل الملك الأشرف وغيره من العلماء والفقهاء، وممن كان قبله من الملوك والسلاطين.

فهذه الفترة ظهر فيها نخبة من العلماء الفضلاء البارزين في فنون مختلفة مما يسر له الأخذ والتلقي على أكابر علماء عصره في علوم وفنون مختلفة، وسنعرض لذكر بعضهم عند الكلام على شيوخه.

ونتيجة لهذا الانفتاح العلمي، فقد حرص بعض علماء اليمن في ذلك الزمان، أن يرحلوا إلى الشام والعراق للأخذ عن مشايخها، والاطلاع على مؤلفاتهم، ومن ثم العودة بها إلى بلادهم، فإذا ما وصل إلى اليمن كتاب جديد احتفلوا به وتسابقوا إلى نسخه، ومن ثم إلى شرحه وعمل الحواشي والتعليقات عليه، ومن أمثلة ذلك احتفال العلماء والأدباء بكتاب «مغني اللبيب» لابن هشام عندما وصل اليمن لأول مرة، فأخذوا في تقريضه وشرحه، وهذا واضح في كتابنا هذا، حيث نجد الإمام الموزعي اعتمد في مسائل حروف المعاني على «مغني اللبيب» في غالب الأحوال، كما نجده استدرك عليه كثيراً من المسائل، مما يدل على الاستفادة مما يصل إليهم من جديد مع التدقيق والتمحيص، وهكذا فإن ملوك الدولة الرسولية، بإشارة من العلماء، يستقدمون الكتب غير الموجودة في بلادهم في فنون مختلفة، ويحتفلون بها، حتى أصبح ذلك تقليداً متبعاً عند من جاء بعدهم من ملوك الدولة الظاهرية[١].

فقد ذكر المؤرخون أنه لما وصل كتاب «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» لابن حجر[٢] العسقلاني سنة ٩٠١هـ احتفل به السلطان عامر[٣] الظاهري احتفالاً عظيماً،

---

(١) يراجع في هذا: «الأدب اليمني في عهد بني رسول» ٦٣ وما بعدها.

(٢) هو أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المعروف بابن حجر، من أئمة العلم والتاريخ، أصله من عسقلان بفلسطين، ولع بدراسة الأدب والشعر ثم أقبل على الحديث، رحل إلى الشام والحجاز واليمن لسماع الشيوخ، ثم أصبح حافظ الإسلام في عصره، فقصده الناس للأخذ عنه، له مصنفات كثيرة، من أشهرها: «فتح الباري»، و«الإصابة في تمييز الصحابة»، توفي سنة ٨٥٢ هـ بالقاهرة. انظر: «البدر الطالع» ١/ ٨٧ وما بعدها، «الأعلام» ١/ ١٧٨.

(٣) هو عامر بن عبد الوهاب بن داود بن ظاهر، أحد ملوك بني ظاهر باليمن، تولى الملك بعد وفاة والده سنة ٨٩٤ هـ، وكان شديد البطش إلى جانب اهتمامه بالعلم والمساجد والمدارس، توفي سنة ٩٢٣هـ. انظر: «بغية المستفيد في أخبار زبيد» ١٨٥، «الأعلام» ٣/ ٢٥٣.

بالإضافة إلى أن البعض الآخر من العلماء يكتفون بالالتقاء بعلماء المسلمين في مكة والمدينة، أثناء موسم الحج، أو يعرج بعض علماء المسلمين على اليمن لقربها من مكة المكرمة، فيأخذون عنهم كل جديد مفيد، وهذا يدل على حرص علماء اليمن على الأخذ عن علماء الإسلام في شتى أقطارها[١].

ومما يؤسف له في عهد الملك أحمد بن إسماعيل ظهور أفكار وكتب محيي الدين بن عربي[٢] المتضمنة لوحدة الوجود المرفوضة من قبل أهل السنة والجماعة، وكان متولي نشرها وترويجها ابن الرَّدَّاد[٣] الصوفي.

وكان المجد الفيروزآبادي يجامله ولم ينكر عليه، رغم أنه كان متولي القضاء الأكبر، وبعد موت الفيروزآبادي جلس منصب القضاء شاغراً لمدة ثلاث سنوات، وكان السلطان يرغب في إعطاء هذا المنصب الحافظ ابن حجر حيث كان السلطان ينتظر رجوعه من مصر فطال الانتظار[٤]، فسعى ابن الرَّدَّاد عن طريق مريديه، وعلاقته

---

(١) انظر: «الأدب اليمني في عصر بني رسول» ٦٣ وما بعدها.

(٢) هو محمد بن علي بن محمد، المعروف بمحيي الدين بن عربي، من أهل الأندلس، ارتحل إلى الشام والعراق والحجاز ومصر، أنكر عليه العلماء شطحات صدرت منه في مؤلفاته، مثل القول بوحدة الوجود، فأفتى بعضهم بإراقة دمه، فحبس وسعى ناس في خلاصه، وأخيراً استقر في دمشق فتوفي فيها سنة ٦٣٨هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء» ٢٣/ ٤٨، «الأعلام» ٦/ ٢٨١.

(٣) هو أحمد بن أبي بكر بن محمد البكري بن الرَّدَّاد، ولد ونشأ بمكة، دخل اليمن، فأقام في زبيد، وتقرب إلى السلاطين، وصار من خاصة السلطان أحمد بن إسماعيل، ولي القضاء الأكبر، وعلت له شهرة. قال السخاوي: «غلب عليه الميل إلى تصوف الفلاسفة، فأفسد عقائد أهل زبيد إلا من شاء الله». حصلت بينه وبين علماء عصره مناظرة حول ما يدعو إليه من عقائد إلحادية، فبان ضعفه واندحرت حجته، له مؤلفات جلها في التصوف. توفي سنة ٨٢١ هـ.

انظر: «الضوء اللامع» ١/ ٢٦٠، «إنباء الغمر» ٣/ ١٧٨ ط. مصر، «تاريخ البريهي» ٣٠٥، «مصادر الفكر العربي» ٢٧٩، «الأعلام» ١/ ١٠٤، «حياة الأدب اليمني في عصر بني رسول» ٢٣٣، «الصوفية والفقهاء في اليمن» ١٣٢.

(٤) انظر: «الضوء اللامع» ١/ ٢٦٠، «إنباء الغمر» ٣/ ١٧٧ ط. مصر، «تاريخ البريهي» ٣٠٥.

بالسلطان إلى هذا المنصب، خشية أن يولي السلطان الفقيه إسماعيل المقري[١]، فهو من الذين تصدوا لابن الرَّدَّاد ومعتقداته المرفوضة عند أهل الحق من أهل السنة والجماعة، فيوقفه ابن المقري عند حده، لاسيما وابن الرَّدَّاد يعلم أن كثيراً من العلماء والفقهاء يرفضون أفكاره ومعتقداته، وقد عارضوه من أول يوم ظهر بها، إلا أنَّ تقربه للسلطان وتزويج السلطان بابنته، وانحراف السلطان بآخر حياته، مع التزيين له أنَّ ما يعمله من منكرات لا يضر في دينه ولا في شخصه، كل هذا وغيره جعل السلطان يقتنع بتولي ابن الرَّدَّاد منصب القضاء الأكبر، فازداد ابن الرَّدَّاد مجاهرة بمعتقداته، ويحارب كل من يقف لمحاربتها، إلا أن كل هذا لم يمنع العلماء من الوقوف ضد هذه الأفكار الإلحادية، فعملوا على محاربتها، وكان على رأسهم مؤلفنا الإمام الموزعي، والفقيه إسماعيل المقري[٢].

وسنعرض لهذا بالتفصيل في مكانة المؤلف العلمية.

وهكذا نجد أنه متى انحرف السلطان عن الطريق الصحيح وأطاع هواه، واتخذ حاشيته من أهل السوء من الذين يزينون له سوء عمله، فإن هذا منذر بالزوال، فلم تمكث الدولة بعده كثيراً، رغم أن ابنه عبد الله بن أحمد جاء من بعده وأزال المنكرات التي كانت شائعة في عهد أبيه، وأبعد جلساء السوء، وقرَّب إليه أهل السنة من العلماء والفقهاء، إلا أن عهده لم يدم طويلاً، فقد توفي سنة ٨٣٠ هـ[٣].

---

(١) هو إسماعيل بن أبي بكر بن عبد الله المقري الشاوري ، كان إماماً يضرب به المثل في الذكاء، تولى إمرة بعض البلاد ، والتدريس بتَعِز وزَبيد ، له مصنفات كثيرة منها: «عنوان الشرف الوافي في الفقه والنحو والتاريخ والعروض والقوافي»، و«الرد على كتب ابن عربي»، و«مختصر الروضة للنووي»، و«ديوان شعر». توفي سنة ٨٣٧هـ .

انظر: «إنباء الغمر» ٣/ ٥٢١ ، «الضوء اللامع» ٢/ ٢٩٢ ، «بغية الوعاة» ١٩٣ ، «تاريخ البريهي» ٣٠٠ وما بعدها، «الصوفية والفقهاء» ١٣٢ ، «الأعلام» ١/ ٣١١ .

(٢) انظر: «تاريخ البريهي» ٢٩٩ ، «قرة العيون» ٢/ ١٢٤ - ١٢٥ ، «غاية الأماني» ٢/ ٥٦٦ ، «المخلاف السليماني» ١/ ٢٣٠ ، «حياة الأدب اليمني في عصر بني رسول» ٢٦٩ - ٢٨١ .

(٣) انظر: «بغية المستفيد في أخبار زبيد» ١٠٦ ، «قرة العيون» ٢/ ١٢٦ ، «غاية الأماني» ٢/ ٥٦٧ ، «المخلاف السليماني» ١/ ٢٣١ .

وهكذا استمرت الدولة الرسولية تهبط تارة وتعلو أخرى، إلا أنها في الهبوط والانحلال والتفكك أكثر حتى زالت وانتهت في سنة ٨٥٨ هـ[١].

(١) انظر: «بغية المستفيد في أخبار زبيد» ١٠٦ وما بعدها.

المبحث الثالث

نماذج لآثار النهضة العلمية

١ ـ المدرسة التاجية:

هي من أوليات المدارس في عهد الدولة المظفرية، وقد أسسها الطواشي تاج الدين بدر بن عبد الله المظفري، وكان من مماليك زوجة الملك المنصور عمر بن علي، وقد تخصصت هذه المدرسة لدراسة الفقه، أوكل التدريس فيها للفقهاء، وكان من المدرسين فيها الفقيه علي بن عبد الله الزيلعي أحد علماء الفرائض في العصر الرسولي، المتوفى سنة ٧١٤هـ، والفقيه أبو العباس أحمد بن صالح بن إسماعيل الحضرمي المتوفى سنة ٧٢٢هـ، وقد تسمت المدرسة فيما بعد بمدرسة المبردعين، وسميت بذاك لأن المبردعين كانوا يعملون البرادع عندها[١].

٢ ـ المدرسة النظامية[٢]:

وهي من أشهر المدارس في زبيد، أنشأها الطَوَاشَي نظام الدين المظفري[٣].

ومن المدرسين فيها الفقيه علي بن محمد بن ثمامة[٤]، وهو أحد مشاهير الفقهاء في عصره.

---

(١) انظر «العقود اللؤلؤية» ١/ ١١٣ ، «حياة الأدب اليمني في عصر بني رسول» ٨٢ .

(٢) انظر: «العقود اللؤلؤية» ١/ ١٥٢ ، «حياة الأدب اليمني في عصر بني رسول» ٧٣ .

(٣) هو نظام الدين مختص المظفري، كان من أمراء الملك المظفري يوسف بن عمر، وكان شجاعاً مقداماً عالي الهمة ، أقطعه السلطان إقطاعاً، كان راغباً في طلب الأجر، كثير الصدقة، وابتنى عدة مدارس ومساجد، توفي سنة ٦٦٦هـ . انظر «العقود اللؤلؤية» ١/ ١٥٢ .

(٤) هو علي بن محمد بن أحمد بن نجاح المعروف بابن ثمامة، من العلماء الفقهاء، تولى القضاء، ودرس، وكان عظيم الخشية، سريع العبرة عند ذكر الله تعالى، توفي سنة ٧٠٩هـ . انظر: «العقود اللؤلؤية» ١/ ٢٢٧ ، «حياة الأدب اليمني في بني رسول» ٧٣ .

٣ ـ المدرسة الدعاسية[١]:

وقد أسسها سراج الدين بن دعاس[٢]، وكان من علماء الأحناف، وقد خصصها لدراسة الفقه الحنفي[٣].

٤ ـ المدرسة العفيفية:

أنشأها الملك المؤيد داود بن يوسف المتوفى سنة ٧٢١هـ، ومن المدرسين فيها الفقيه أبو الغيث محمد بن راشد السكوني، كان جامعاً لعلوم كثيرة، توفي سنة ٧٥٩هـ[٤].

٥ ـ المدرسة المظفرية:

تعتبر هذه المدرسة من كبريات المدارس بتعز، أسسها الملك المظفر يوسف بن عمر، وبناها على أسلوب عجيب، وخصص لها أوقافاً كثيرة، واستدعى لها أشهر المدرسين في عصره[٥].

٦ ـ المدرسة الأفضلية:

وهي من المدارس التي أسسها الملك الأفضل عباس بن علي بن داود الرسولي المتوفى سنة ٧٧٨هـ، بناها على أسلوب عجيب، حيث جعلها على ثلاث طبقات،

---

(١) انظر: «العقود اللؤلؤية» ١/ ١٥٥ ، «حياة الأدب اليمني» ٧٣.

(٢) هو سراج الدين أبو بكر بن عمر بن إبراهيم بن دعاس الفارسي نسباً، كان من علماء الحنفية الكبار في زبيد، وابتنى مدرسة عرفت بالدعاسية، ونال حظوة عند السلطان الملك المظفر يوسف بن عمر، ثم حصلت بينه وبين السلطان جفوة، استقر بعدها في زبيد إلى أن توفي سنة ٦٦٧هـ. انظر: «العقود اللؤلؤية» ١/ ١٥٥ .

(٣) انظر: « حياة الأدب اليمني في عصر بني رسول » ٧٣ .

(٤) انظر: «العقود اللؤلؤية» ٢/ ٩٣ - ١٨٠ ، «بغية المستفيد في أخبار زبيد»٩٩ ، «حياة الأدب اليمني في عصر بني رسول»٧٤ .

(٥) انظر: «العقود اللؤلؤية» ١/ ٢٣٢ ، «بغية المستفيد في أخبار زبيد» ٨٤ ، «حياة الأدب اليمني في عصر بني رسول »٧٨ .

الأولى مربعة الشكل قوية الأركان، والثانية مثلثة الأركان، والثالثة مسدسة الشكل، وبنى على رأسها مئذنة طويلة لم يكن في البلاد مثلها، ثم جعل فيها مدرسين للفقه، وآخرين للحديث، ومن المدرسين فيها الفقيه أبو بكر علي الناشري المتوفى سنة ٧٧٢هـ، كما جعل لها أوقافاً كثيرة[١].

٧ ـ المدرسة الأشرفية:

وقد أسسها الملك الأشرف إسماعيل بن الأفضل الرسولي سنة ٨٠٣ هـ، وكانت حسنة الشكل في بنائها، وقد جعل فيها مدرساً على مذهب الشافعي، كما خصص لكل فن في العلوم مدرساً، كالحديث، والنحو، والأدب، وأوقف فيها كتباً كثيرة[٢].

٨ ـ مسجد الأشاعر:

من المساجد المهمة في زبيد، قامت فيه دراسة في فنون مختلفة، وكان يستأثر بإمامته الحنفية، وأحياناً الشافعية، وقد درس في هذا المسجد بدر الدين محمد بن أبي بكر الدماميني القادم من مصر سنة ٨١٩ هـ، وكذلك العلامة محمد بن محمد الجزري عالم القراءات، أقام فيه مجلساً في الحديث أثناء وصوله اليمن، وكان هذا المسجد قد أنشئ سنة ٤٢٥ هـ[٣].

وهناك مدارس أخرى ومساجد غير ما ذكرنا، ولكن أردنا ذكر نماذج لآثار النهضة العلمية.

---

(١) انظر: «العقود اللؤلؤية» ٢/ ١١٥ ، «بغية المستفيد في أخبار زبيد» ٦٨ ، «حياة الأدب اليمني في عصر بني رسول» ٨٠ .

(٢) انظر: «تاريخ البربهي» ٢٠٣ ، ٢٥٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٨ ، «بغية المستفيد في أخبار زبيد» ١٠٠ ، «حياة الأدب اليمني في عصر بني رسول» ٨٠ .

(٣) انظر: «العقود اللؤلؤية» ١/ ١٤٨ ، «حياة الأدب اليمني في عصر بني رسول» ٧٥ .

المبحث الرابع

أثر الحالة العلمية في شخصية الموزعي

من خلال دراستنا لحياة الموزعي وللناحية العلمية التي كانت في عصره، نجد أنه كان مكباً على طلب العلم وتحصيله، وعدم اشتغاله بشيء من التجارة أو الصناعة أو الوظائف الحكومية، التي تشغله عن رغبته في تحصيل العلم، ولقد وافق الموزعي عصر ازدهار النهضة العلمية، إذ كان يوجد في زمنه عدد كبير من علماء اليمن المشهورين بالتأليف والتدريس، إضافة إلى وجود عدد من العلماء الكبار الوافدين إلى اليمن، أمثال ابن حجر العسقلاني، ومجد الدين الفيروزآبادي وغيرهما، ولقد يسرت له هذه النهضة العلمية الاطلاع على أكبر عدد ممكن من الكتب الواردة لليمن بواسطة القادمين إلى اليمن، أو كان مستقدماً بأمر السلطان، وقد ذكر المؤرخون أنه ما كان يُسمع عن ظهور كتاب في مصر أو الشام أو في غيرهما إلا بادروا بطالبه والحصول عليه.

ولقد حرص ملوك الدولة الرسولية على اقتناء الكتب، حتى كان الملك المظفر يبعث إلى خارج اليمن من يبحث له عن المخطوطات، ولا شك أن الموزعي قد استفاد من كل هذا، لذا نجده في كتابه هذا ينقل عن مؤلفات كثيرة، إما مستدلاً أو مستشهداً أو راداً، وهذا يدل على أنه اطلع على أكبر قدر ممكن من هذه الكتب واستفاد منها[1].

---

(١) انظر في هذا: «حياة الأدب اليمني» ٦٨ وما بعدها.

المبحث الخامس

الحالة الاجتماعية

علاقة الحكام بالعلماء:

عندما استولى الحكم الرسولي على اليمن، وكوَّنوا بذلك الدولة الرسولية، أرادوا أن يضمنوا لأنفسهم البقاء في الحكم باعتبار أنهم دخلاء على أهل اليمن، فكان لا بد من وضع استراتيجية لهذه الحماية، وهذه تتلخص في شيئين:

الأول: استخدامهم المماليك لحراستهم ولقمع الثورات الخارجة عليهم.

الثاني: احتياجهم إلى العلماء والفقهاء، ورجال الدين، فكان ملوك الدولة الرسولية يقربون العلماء ويستشيرونهم، وينفذون لهم مطالبهم، بل إن بعض حكام الدولة الرسولية كانوا يداومون على حضور حلقات العلم.

ومما تجدر الإشارة إليه، أنه في عهد الدولة الرسولية كان العلماء يمثلون طائفتين: طائفة الفقهاء، وطائفة الصوفية، وكان النزاع بينهما مستمراً حتى كان يؤدي أحياناً إلى المصادمات الدموية[١].

وكانت طائفة الفقهاء مجموعة لا يستهان بها من حيث مكانتهم العلمية وشهرتهم في المجتمع، وكان على رأس هذه الطائفة مؤلفنا الموزعي، وابن المقري، وجماعة من بني الناشري، ومعهم عدد من طلاب العلم.

وكانت طائفة الصوفية جماعة لا يستهان بها أيضاً، إذ كانت تضم تحت لوائها العوام وأصحاب المصالح والدراويش، وكان من أبرز رجالها الجبرتي[٢] وابن الرَّدَّاد

---

(١) انظر: «العقود اللؤلؤية» ٢/ ٢٧٣ ، «الصوفية والفقهاء في اليمن» ١١٧ - ١١٨ .

(٢) هو إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي، شيخ طائفة الصوفية في زمانه، توفي في زبيد سنة ٨٠٦هـ . انظر: «تاريخ البريهي» ٢٩٩ ، «الصوفية والفقهاء في اليمن» ١١٩ .

وغيرهما.

وكان موقف الحكام إذا اشتد النزاع بينهما موقفاً سلبياً، وهو بما يسمى مسك العصا من الوسط، فحيث كانت الغلبة كان الميل إلى جانبها، والغرض هو الحفاظ على ود الجميع لكسب التأييد وحفظ المركز[١].

وهكذا ترى احتياج الحكام لرجال الدين من العلماء، وحرص الدولة الرسولية على الحفاظ على علاقة طيبة معهم، لاسيما وهناك تنافس بين الأمراء أنفسهم، فبين الحين والآخر تظهر ثورة على السلطان من قبل أخيه أو ابن عمه، وهكذا.

حياة المجتمع في الكرم:

يتميز المجتمع اليمني بالرقة واللطف والمروءة والشرف، وإكرام الضيف، والتسابق عليه، والمبالغة في إكرامه، ويأنفون من تقريب القليل، فلربما رهن متاعه، أو باع بعض ما يملك ليكرم به ضيفه[٢]، وهذا مصداق لحديث الرسول ﷺ: «أتاكم أهل اليمن هم أضعف قلوباً وأرق أفئدة، الإيمان يماني والحكمة يمانية»[٣].

في التجارة:

مما هو مسلم به أن أي بلد عندما يسوده الاستقرار والازدهار تنمو التجارة وتزدهر، وتتحسن الحياة المعيشية، فنجد في عهد الدولة الرسولية ازدهار التجارة حتى أصبح هناك طبقة من الشعب أغنياء، زاحموا السلاطين في بناء القصور، وأصبحت ميناء عدن مزدحمة بالبضائع الواصلة إليها من الشرق والغرب، فتصدر عبر اليمن إلى البلدان المجاورة[٤].

---

(١) انظر: «تاريخ البريهي» ٢٩٩ ، «حياة الأدب اليمني في عصر بني رسول» ٢٧٢ ، «الصوفية والفقهاء في اليمن» ١١٦ ، ١١٩ ، ١٣٦ .

(٢) انظر: «حياة «الأدب اليمني في عصر بني رسول» ٣٩ .

(٣) صحيح البخاري (٤٣٨٨) ، وصحيح مسلم (٥٢).

(٤) انظر: «حياة الأدب اليمني في عصر بني رسول» ٤١ .

في الزراعة:

كان غالب سكان المجتمع اليمني يعتمد على الزراعة، بما فيهم كثير من العلماء وبعض الأمراء الذين تحصلوا على أراضي شاسعة من الدولة.

وقد أراد أمراء الدولة الرسولية أن ينشئوا في أول الأمر نظاماً إقطاعياً يشبه ذلك النظام الذي كان سائداً في مصر، والذي يعتمد على تسخير مجموعة من الفلاحين لزراعة الأرض لصالح الأمير، لكن هذا النظام لم ينجح ولم يتقبله الفلاح اليمني، لأن الفلاحين كانوا من أفراد القبائل المسلحة، وكثيراً ما كانت تثور القبائل على السلطة، وتعلن العصيان، ففشل هذا النظام ولم ينجح، واكتفت الدولة بجباية الزكاة السنوية، مع أنه قد ذكر بعض المؤرخين أن بعض القبائل ما كانوا يدفعون للدولة الجباية في معظم الأحوال، وبالعكس من هؤلاء، كان هناك من يموت فقيراً لكثرة ما يجور عليهم الولاة[١].

الآداب الشرعية:

أدخل ملوك بني رسول كثيراً من العادات والتقاليد الغريبة على اليمن وأهله، فقد حرص ملوك بني رسول على استخدام المماليك، فأطلقوا لهم الحرية فعاثوا في الأرض فساداً، كما حرص ملوك بني رسول أن يتشبهوا بحكام دولة المماليك ـ المعاصرين لهم ـ في قضاء أوقاتهم في اللهو واللعب، ومسامرة خاصتهم من الندماء والمطربين، في حين ولع بعضهم بشرب الخمر، وجاهر به، وخاصة في عهد ملكهم الأول منصور بن علي، إلا أن ذلك لم يكن في كل الأحوال، فهناك فترات ترى السلاطين يقيمون الحدود على اقتراف المحرمات، مع أن شرب الخمر لم يكن معروفاً لأهل اليمن من قبل[٢].

---

(١) انظر: «العقود اللؤلؤية» ٢/١٤٧ - ١٤٩ ، « تاريخ الدولة الرسولية» ٧١ - ٧٣ ، «حياة الأدب اليمني في عصر بني رسول» ٤٤ ، نقلاً عن عدد من الكتب التاريخية المخطوطة.

(٢) انظر: «حياة الأدب اليمني في عصر بني رسول»٢٣ - ٢٤ .

الطواعين، والزلازل، والأوبئة:

١- في سنة ٦٧٣هـ وفي عهد الملك المظفر يوسف، وقع غلاء في الأسعار في منطقة صنعاء وجهاتها، ومات في هذا خلق كثير، حتى أكلت السباع جثثهم[١].

٢- في سنة ٧٥٣هـ حصل في اليمن موت عظيم، فكان يموت في اليوم الواحد خلق كثير[٢].

٣- في سنة ٧٨٤هـ حصل موت عظيم في كثير من المدن اليمنية، حتى أصبحت كثير من البيوت مليئة بالموتى من الآدميين، ولم يجدوا من يدفنهم، كما امتلأت الشوارع بالأغنام والمواشي[٣].

٤- وفي سنة ٧٨٩هـ حصل في ثغر عدن زلازل عظيمة استمرت من عشرين شعبان إلى أول شهر رمضان[٤].

٥- في سنة ٧٩٥هـ حصل حريق في مدينة زبيد أدى إلى إتلاف معظم المدينة، وانتقل إلى القرى المجاورة لها[٥].

٦- في سنة ٨٠٠ هـ حصلت أمطار كثيرة نتج عنها سيل عظيم سحب قوافل، وهلك ناس كثير وأموال كثيرة[٦].

٧- في سنة ٨١٦ هـ حصل مرض للخيل والدواب ماتت أكثرها[٧].

٨- في سنة ٨١٦ هـ حصلت في الجبال زلازل عظيمة، دامت قدر نصف شهر،

---

(١) انظر: «تاريخ الدولة الرسولية» ٤٠.

(٢) انظر: «العقود اللؤلؤية» ٢/ ٨٠.

(٣) انظر: «تاريخ الدولة الرسولية» ٨٦.

(٤) انظر: المصدر السابق ٩٦.

(٥) انظر: المصدر السابق ١١٨.

(٦) انظر: المصدر السابق ١٢٩.

(٧) انظر: المصدر السابق ١٦٨.

تهدمت على أثرها حصون وأبراج[١].

٩- في سنة ٨١٦ هـ حصل غلاء كثير، حتى أنه مات فيه أناس كثير من الفقراء والضعفاء[٢].

١٠- في سنة ٨١٠هـ حصل حريق عظيم في زبيد، ومات في الحريق خلق كثير، وأموال لا تحصى[٣].

١١- في سنة ٨٤٠هـ وقع طاعون فمات فيه خلق كثير[٤].

أثر الحالة الاجتماعية في شخصية الموزعي:

إن كل إنسان في هذه الحياة، مرتبط بغيره ممن حوله من بني البشر، فلا بد له أن يختلط بغيره من الجنس البشري فيحس لإحساسهم، ويتألم لآلامهم، وما أصابه من فرح أو سرور أو حزن، فهو يصيبهم فيعايش قضاياهم، والمجتمع الذي عاشه الموزعي كان أهله ذا طبقات: ملوك وسلاطين، أمراء وأتباع، علماء وطلبة، أغنياء وفقراء، تجار وفلاحين، فكان الموزعي ذا علاقة بكل هذه الطبقات تقريباً، فباعتباره طالباً له علاقة بالعلماء، وباعتباره فقيراً له علاقة بالفقراء، وباعتباره عالماً له علاقة بالسلاطين فيجد التقدير والاحترام.

ويظهر أن ما حصل في عصره من زلازل، وطواعين، وأوبئة، وحروب، وسلب ونهب وأمطار ذات سيول جارفة، وحرائق مهلكة، وهذه الكوارث وهذه المصائب جعلته ينظر إلى الدنيا بعين الاعتبار، فلا جمع مالاً، ولا بنى قصوراً، ومات ـ رحمه الله تعالى ـ فقيراً.

---

(١) انظر: المصدر السابق ١٦٨ .

(٢) انظر: المصدر السابق ١٦٨ .

(٣) انظر: المصدر السابق ١٤٨ - ١٤٩ .

(٤) انظر: «تاريخ البريهي» ٢٠ .